مقدمـــة

يستعرض كتاب « الغطرسة المميتة . . التكنولوجيات الخطرة . . وقابلية الخطأ البشرى تأليف الدكتور للويد جيف دوماس أستاذ الاقتصاد السياسى بجامعة تكساس بلوس ألموس بالولايات المتحدة الأمريكية ، مخاطر التكنولوجيا التى استطاع الإنسان أن يسخر فيها كل مواهبه بما قد يؤدى إذا أسئ توظيفه إلى القضاء على كل أشكال الحياة على كوكب الأرض . وبين كيف تمكن الإنسان كأحد الكائنات التى تستعمر الأرض من الإبداع عبر كل العصور ، فنراه يعزف الموسيقى لتجعل الأرواح تهيب فى السماء كما صنع الفنون بكل أنواعها وتناقل المعارف وشيد الحضارات. وصمم الأجهزة التى لم يتخيلها أحد من قبل مما أدى إلى ثورات علمية عديدة خاصة فى مجال الاتصالات التى جعلت العالم يعيش كقرية واحدة . وأمكن توفير العناية الطبية لعامة الناس ، والتى لم تكن متوفرة لدى الملوك وأسرهم فى العصور الماضية .

إلا أن هناك دائماً الجانب السلبى للتكنولوجيا فنرى أنها تسلب الحياة طبيعتها ونحقر من بعضنا البعض ونبتكر الأسلحة الفتاكة للقضاء على البشر . . إنها حقًا مسئولية الدول العظمى عن اندثار الحضارة .

وللتكنولوجيا وجهان أحدهما إيجابى مفيد والأخر مدمر مميت . فعلى الجانب الإيجابى نجد منتجات التكنولوجيا بأسعار زهيدة توفر نوعية الحياة الكريمة للبشرية . فيمكننا الآن السفر والتنقل بكافة المواصلات البرية والبحرية والجوية ونتبادل المعلومات بسهولة وكذلك التمتع بعناصر عديدة للتسلية والمأكولات المختلفة . وفى الوقت نفسه ارتكبنا أخطاء جسيمة وفاضحة فى حق البيئة، فنرى تلوث الأرض والمياه والهواء ، وتسببنا فى اندثار الآلاف من الكائنات الحية التى كانت تنعم بالحياة على هذا الكوكب. والآن ، وضعنا بين أيدى البعض منا قوة فائقة تقضى على المجتمع البشرى فى بضعة ساعات ، هذا هو الوجه المظلم للتكنولوجيا .

والكتاب لا يمثل أنشودة شكر للتقدم العلمى والتكنولوجى الذى تعيش فيه الدول المتقدمة ، ولا يمثل أيضاً إنذارًا وتحذيرًا حول الثمن الذى ندفعه

من أجلها، ولكنه فى المقابل يعتبر جواز مرور نحو الحقيقة التى ترشدنا للاختبارات الحكيمة . . والتحذير ليس حول التكنولوجيا بذاتها ولكن حول الغطرسة والكبرياء التكنولوجى الذى يجب أن نتحكم به، ليس من أجل خطورته أو لمنع الكارثة المحدقة بنا فحسب ، بل للتنبيه على أنه نوع من أشكال الغرور القاتل الذى سوف ينفجر بسهولة فى وجه الجميع .

لقد توصلت التكنولوجيا إلى صناعة المجتمع وتشكيل العالم ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا ، فالتكنولوجيا ليست إلا تطبيقات للقوانين الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية فى الطبيعة ، والتى بواسطتها يمكن تطوير هذه المعارف من أجل الإنتاج الفعلى والحقيقى . والتكنولوجيا ليس لها حدود ولا تعرف المستحيل ، ومهما تكن المشكلة فإن العلماء والمهندسين لديهم الذكاء الكافى ليعملوا بجد ويجدوا فى النهاية طريقة حقيقية لما يسمى «بالإصلاح التكنولوجى ». والتكنولوجيا لا تطرح حلولاً للقضايا البشرية الملحة مثل المجاعة والأمن والسلام . فعلى الرغم من تقدم التكنولوجيا الزراعية منذ عام ١٩٥٠م والتى أدت لما يسمى « بالثورة الخضراء » إلا أنها لم تؤد إلى نهاية المجاعة فى العالم . وفى الحقيقة أدت هذه التكنولوجيا إلى زيادة المنتجات الزراعية وتحسين نوعيتها دون توفير الحد الأدنى للأمن الغذائى العالمى . والسبب ببساطة أن مشكلة المجاعة لم تكن ولا تعتبر نتيجة لنقص الغذاء، بل كانت نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية أساسية أثرت فى كيفية توزيع واستخدام الإنتاج الغذائى. إن قضية المجاعة العالمية لا تحل بالتكنولوجيا لأنها ليست قضية تكنولوجية !

وكذلك فى مجال الأمن والسلام العالمى ، فعندما ابتكرت الأسلحة النووية ، اعتقد الكثير أنها قد تضع حداً لانتهاء الحروب التقليدية بين الشعوب . إلا أنه ومنذ بزوغ العصر النووى عام ١٩٤٥م، تقاتلنا فى أكثر من مائة وخمسين حربًا التى أخذت أرواح ثلاثة وعشرين مليون نسمة ، ٦٠٪ منهم من المدنيين. فهذه التكنولوجيا النووية لم تفلح فى توفير الأمن والسلام للشعوب . فلا الحرب ولا قضية الأمن ذاتها من القضايا التكنولوجية . فالحرب والأمن قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

والتكنولوجيات الخطرة هى تلك التى تسبب الموت الشامل وتسبب خسائر للممتلكات فى مكان محدد وفى زمن قصير. وتؤدى هذه التكنولوجيات إلى تطور الأسلحة الفتاكة النووية والكيميائية والجرثومية ،

وعلى الرغم أن الدول العظمى تتحكم فى انتشار هذه الأسلحة وتحاول الحد منها. إلا أن تطور هذه الأسلحة جعل منها خطرًا جاثمًا على البشرية، حتى فى حالة عدم استعمالها .

والكتاب ينقسم إلى خمسة أجزاء رئيسية هى :

الجزء الأول : تهديد أنفسنا ويتضمن التكنولوجيا وقابلية الخطأ البشرى والبقاء.

الجزء الثانى : ماذا سوف يحدث؟ ويتضمن الموضوعات الآتية:

- الإرهاب والتكنولوجيا الخطرة
- التحكم فى الاختراعات الخطرة
- الحوادث النووية
- محرقة بالصدفة ، حرب غافلة بأسلحة الدمار الشامل

الجزء الثالث : لماذا يحدث هذا هنا ؟ ويتضمن الموضوعات الآتية :

- أوجه عديدة للأخطاء البشرية
- أخطاء الأفراد : الكحوليات ، والمخدرات ، والأمراض النفسية
- البيروقراطية والمعتقدات الأخرى .

الجزء الرابع :لماذا لا تنقذنا التكنولوجيا المحسنة؟ويتضمن الموضوعات الآتية:

- فشل النظم التكنولوجية
- الحاسبات والمأزق التكنولوجى

الجزء الخامس : ماذا يمكن وما يجب عمله ؟ ويتضمن الموضوعات الآتية:

- فهم وتقييم الخطر
- منع الكارثة.